الفصل الخامس

الصراط المستقيم

١ ـ ٥. خلق الدنيا في ستة أيام.

صمت مدة سبعة أيام وأنا أبتهل إلى اللّه. وهكذا أكملت ثلاثة أسابيع. وفي اليوم الثامن شعرت باضطراب وبدأت أناجي اللّه وأنا متوتر الأعصاب مشدود القلب. قلت: إلهي ومولاي في اليوم الأول بدأت الخليقة بأمرٍ منك فقلت للعالم الذي نسكنه كن فكان. في ذلك اليوم كانت الروح[1] هائمة والظلام يعم المكان، والهدوء والسكون يشملان كل شيء ولم يكن قد سُمع صوت إنسان بعد.

أمرت أشعة الضوء بالنفاذ إلى الأرض، فكان ذلك وظهرت أعمالك للعيان.

وفي اليوم الثاني خلقت الملاك المتصرف بالسماء، وأمرته أن يفصل بين المياه، فكانت مياه على الأرض وغيوم في السماء.

---

(١) يقصد الرياح العاصفة.

obeikandl.com

وفي اليوم الثالث أمرت المياه بالتجمع بعضها مع بعض في مكان واحد. وجففت باقي الأرض لكي يمكن حراثتها وزراعتها. وكلمتك كن سرت في الكون ونُفّذ ما تقول فوراً.

وفي لحظة واحدة ظهرت جميع أنواع الفواكه والخضار التي ترضي مذاق كل ذوّاق، وكانت هناك أزهار بأشكال جميلة ذات ألوان بهيجة ساحرة، تفوق الوصف وتعلو على الخيال.

وفي اليوم الرابع صفا الجو وظهرت الشمس في النهار، وبدد القمر ظلام الليل تحيط به النجوم الزاهرة.

سخّرت كل ذلك من أجل الإنسان الذي لم تكن قد خلقته بعد.

وفي اليوم الخامس أمرت الماء المغطي لقسم من الأرض بإنتاج الأسماك والطيور، وكان كما أمرت. وجعلت من الماء كل شيء حيّ، ليتعرف الناس على أعمالك العظيمة.

وبعد ذلك فرّقت بين الدواب والزواحف، لأن البحر لم يعد قادراً على حملهم معاً. وعاشت الدواب على اليابسة وبقيت الزواحف لتعيش في الماء.

يسّرت سبل الحياة لجميع المخلوقات في البرّ والبحر. وهكذا استطاع شعبك المختار الاستمتاع والتلذذ بأكل هذه الحيوانات في المناسبات والأعياد التي يختارها.

وفي اليوم السادس[1] أمرت الأرض فأنتجت الحيوانات البرية والأهلية، الكبيرة والصغيرة على حد سواء. وأهم من ذلك كله خلقت آدم وأعطيته السيطرة على جميع المخلوقات التي خلقتها قبل ذلك.

ونحن شعبك المختار من ذرية آدم. خلقت العالم من أجلنا. ونحن نعلم أن عدد سكان الأمم الأخرى كبيرٌ جداً، ولكنهم مهملون لاقيمة ولاوزن لهم عندك بسبب كفرهم. ورغم ذلك سمحت لهم بالتغلب علينا وتحطيمنا واستعبادنا. لقد دعوتنا

(١) هذا الترتيب يتفق مع ما جاء في سفر التكوين.

مـرّة بـابنك البكـر، ومـرّة بـابنك الوحيـد، وجعلتنـا شـهوداً علـى وجـودك وعلـى وحدانيتك. لقد كنا أحباءك المختارين.

إننا اليوم محكومون بقبضة الأمم الأجنبية القوية. فإذا كان هذا العـالم مخلـوقٌ من أجل شعبك المختار فلماذا لاتجعله ملكاً لنا؟. كم علينـا أن ننتظـر حتـى ننـال العالم ونصبح أسياده.

٢ ـ ٥. الطريق الضيق والصعب.

وعندما أنهيت كلامي جاءني الملاك الذي حضر في الليالي السابقة وقال لـي: استمع يا عزرا لما سأقوله لك. قلت: تفضل يا سيدي.

قال: تخيل في ذهنك بحراً واسعاً عميقاً له مدخل ضيـق عرضـه يسـاوي عـرض نهر عادي. ولايمكن لأحد الدخول إلـى هـذا البحـر بقصـد العبـور والسـفر إلاّ عـن طريق هذا المدخل الضيق. ولأضـرب لـك مثـلاً آخـر. تخيـل مدينـة واسـعة منظمـة تحوي جميع الأشياء الجميلة. المدخل إلى هذه المدينة عبارة عن طريق ضيق شديد الانحدار. على الطرف الأيمن من هذا الطريق يوجد خندق تشتعل فيه النيران، وعلى الطرف الأيسر من هذا الطريق يوجد خندق عميق مملوءٌ ماءً، ولايستطيع عبور الطريق الضيق أكثر من شخص واحد. فإذا ما ورث شخص هذه المدينة أفمـا عليـه أن يجتـاز الطريق الخطر حتى يتمكن من الوصول إلى المدينة واستلامها؟.

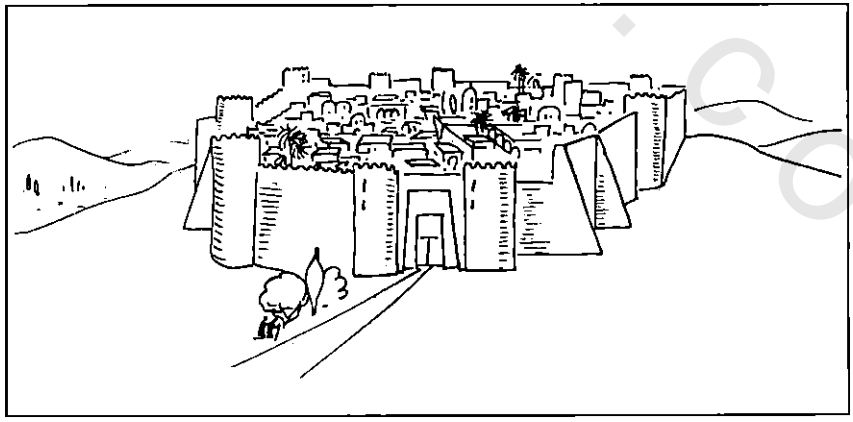

أجبت: هذا صحيح يا سيدي.

قال: وهكذا الأمر مع بني آدم. لقد خُلِقَت الأرض من أجلهم. ولكن بما أن آدم أخطأ بمعصية اللّه تعالى فقد توجب عليه وعلى ذريته للدخول إلى هذا العالم وامتلاكه سلوك الطريق الضيق الوعر المليء بالمخاطر. وأما الطريق المؤدي إلى عالم الآخرة فهو واسع عريض مأمون ويقود إلى الحياة الأبدية. وعلى كل إنسان عاش على الأرض أن يسلك الطريق الضيق والصعب في هذه الحياة الدنيا ليربح الثواب والحسنات المدخرة له في الآخرة.

ولكن قل لي يا عزرا، لماذا أنت خائف وقلق من الموت والفناء؟. لماذا تحصر اهتمامك في الحياة الآخرة بدلاً من الاهتمام بالوقت الحاضر؟

قلت: يا سيدي، مذكور في الكتاب أن الصالحين سينالون الثواب في الآخرة، أما أصحاب الذنوب والمعاصي فسوف يهلكون، لذلك فإن المؤمنين الصالحين يستطيعون تحمل الصعوبات والآلام في الدنيا، واجتياز الطريق الضيق الصعب بنجاح، وذلك بسبب الأمل الذي يطمحون به دخول عالم الأبدية الواسع في المستقبل. بينما على العصاة والمذنبين اجتياز الطريق الضيق في الدنيا دون أمل في حياة آخرة.

اعترض الملاك قائلاً: هل تظن أنك تستطيع الحكم بعدل أفضل من عدالة اللّه؟. هل تحسب أن حكمتك أصوب من حكمة اللّه العزيز الحكيم؟.

قد يكون الموت أفضل من الحياة لأولئك الذين يهملون تعاليم اللّه ولايطبقونها في حياتهم. لقد بيّن اللّه تعاليم واضحة صريحة ليطبقها كل إنسان يأتي إلى هذه الدنيا. فإذا طبّق الإنسان تلك التعاليم، نجا من العقوبة القاسية وفاز بالحياة الأبدية السعيدة.

ولكن العصاة والآثمين لن يستجيبوا لنداء الإيمان ولن يطيعوا أوامر اللّه. إنهم يرتكبون الآثام وينغمسون في الخطايا جاحدين فضل اللّه منكرين فضله رافضين وعوده. لذلك فإن جزاء المبطلين هو لاشيء وإن ثواب المحسنين هو كل شيء.